وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مقياس البلاغة العربية السنة الأولى جذع مشترك الدفعة (1).

محاضرات في البلاغة العربية

الدكتورة دلال وِشّن السنة الجامعية2021م/2022م.

الفصاحة والبلاغة:

أولا: الفصاحة لغة واصطلاحا :

الفصاحة لغة: البيان والظهور؛ فصح الرجل فصاحة فهو فصيح ... تقول: رجل فصيحٌ... وكلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق... وفصُحَ الأعجمي، فصاحة : تكلم بالعربيةُ وفُهِمَ عنه ... يقال: أفصح الصبي في منطقه إفصاحا إذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلّم وأفصح الصبح: بدا ضوءه واستبان ... وكل واضح: مفصح.

والفصاحة في الاصطلاح عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنها . والفصاحة تقع وصفا أو يوصف بها المفرد (اللفظ أو الكلمة) والكلام والمتكلم، فيقال :لفظة فصيحة، وكلام فصيح، ورجل فصيح. أما البلاغة فيوصف بها الكلام والمتكلم فقط، فيقال: كلام بليغ، ورجل بليغ .وتتمثل فصاحة اللفظ أو المفرد في خلوه من ثلاثة أمور: تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس . 1- . 2تنافر الحروف: وهو وصف في الكلمة، ينشأ عنه ثقلها على اللسان والسمع ، مثل قول امرئ القيس:

غدائره مستشزرات إلى العلا * ، تضل العقاص في مثنى ومرسل

.فالشاعر هنا يصف غزارة شعر حبيبته (ابنة عمه) فيقول: إن حبيبته لكثرة شعرها بعضه مرفوع، وبعضه مثنى، وبعضه مرسل، وبعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل .وموضع الشاهد على التنافر هنا هو لفظة "مستشزرات" بمعنى مرتفعات أو مرفوعات، فهي لفظة مستكرهة لثقلها على اللسان وعسر النطق بها. فتنافر الحروف فيها أدى إلى ثقلها وصعوبة التلفظ بها، وهذا بدوره أنقص من فصاحتها وقلّل من

فصاحة البيت وجماله .ولاضابط لمعرفة الثقل والصعوبة في اللفظ سوى الذوق السليم المكتسب بطول النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم.

فالضابط إذن لمعرفة الثقل والصعوبة هو الذوق السليم، فما عدّه الذوق السليم ثقيلا متعسر النطق، فهو متنافر، سواء أكان متقارب الحروف أم متباعدها، وسواء أطالت حروفه أم قصرت

2- .غرابة اللفظ (أو غرابة الاستعمال): أي أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى، ويكون ذلك لسببين :الأول: عدم تداول الكلمة في لغة العرب الخلّص، فيحتاج في بحثها إلى بحث وتنقيب في معاجم اللغة، كلفظ "جؤشوش ."في قول البحتري:

فلا وَصلَ إلاّ أن يُطيفَ خَيالها***بنا تحت جُؤشوشٍ من اللّيل أسفَعِ

ومعناه: القطعة من الليل

.الثاني: ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة، لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة كلفظ "مسرج" في قوله رؤبة بن العجاج :

ومقلة وحاجبا مزَّججا*** وفاحما ومرسناُ مسَّرجا

.والمعنى أن لهذه المرأة الموصوفة مقلة واسعة حسنة سوداء، وحاجبا مدققا مقوسا، وشعرا أسود فاحما، وأنفا كالسيف السريجي في دقته واستوائه، أو كالسراج في بريقه وضيائه .وشاهد الغرابة فيه هو في لفظة "مسرجا" للاختلاف في تخريجها. فاللفظة إذا دلت على أكثر من معنى، واختلف في تحديد المعنى المراد منها في موضعها فإنها تكتسب بذلك صفة الغرابة التي تنتقص من درجة فصاحتها

. لقد اختلف أئمة اللغة في تفسير هذه الكلمة، فقال بعضهم إن الشاعر أراد أن يشبه أنفها في الاستواء والدقة كالسيف السريجي، أي منسوبة إلى حداد يقال له سريج يجيد صنعها، وقال بعضهم هو من السراج أي المصباح، يريد أن يشبه أنفها في البريق واللمعان بالسراج

. –3مخالفة الوضع(مخالفة القياس): ومعناه أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت من الواضع (أي العرف العربي الصحيح). ومثال مخالفة الواضع أي العرف العربي الصحيح والقياس الصرفي لفظ"الأجلل في قول أبي النجم:

الحمد الله العلي الأجلل***الواهب الفضل الوهوب المجزل

فهو غير فصيح، لأنه مخالف لما ثبت عن الواضع، وللقياس الصرفي، إذ الوارد عن الأجلّ" بالإدغام، لا بالفك، والقياس الصرفي يقتضي إدغام المثلين الواضع .

أما فصاحة الكلام أو التركيب الذي يعني سلامته بعد فصاحة مفرداته مما يبهم معناه، ويحول دون المراد منه، وقد اشترط علماء البلاغة لفصاحة الكلام أن يسلم من ثلاثة عيوب(أمور) هي : 4ضعف التأليف، وتنافر الألفاظ (تنافر الحروف)، والتعقيد لفظيا ومعنويا مع فصاحة المفردات التي يتألف منها

1– .ضعف التأليف في الكلام:هو خروجه عن قواعد اللغة المطردة ؛ أي أن يكون في نظمه مخالفا للمشهور من قواعد النحو التي اعتمدها جمهور النحاة كالإتيان بالضمير متصلا بعد إلا مثل قول الشاعر

:ليس إلاّك يا عليِ همام*** سيفه دون عرضه مسلول

2تنافر الألفاظ في الكلام: هو وصف في الكلمات مجتمعة يوجب ثقلها على إللسان وعسر النطق بها، وإن كانت كل كلمة منها على حدة لا ثقل فيها اللسان، وعسر

النطق بها، وهذا يعني أن يسبب اتصال بعض ألفاظ الكلام ببعض ثقلا على السمع وصعوبة في النطق بها، لأن النطق بالحروف المتقاربة في مخارجها أشبه بالمشي المقيد 2

.مثال ذلك قول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر*** وليس قرب قبر حرب قبر

3- . التعقيد: هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فيه، وهو نوعان :أ- التعقيد اللفظي: أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد ، لخلل واقع في نظمه وتركيبه، بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني، بسبب تقديم أو تأخير أو حذف، مما ينشا عنه صعوبة فهم المعنى المراد 4، ومن ذلك قول الفرزدق الذي يضرب به المثل في تعسف اللفظ ، وهو يمدح إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان:

وما مِثلُه في النّاسِ إلاّ مُمُلّكا***أبو أمّه حيّ أبوه يقاربه

.ومعنى البيت : ليس في الناس مثل إبراهيم أحد يشبهه في الفضائل والمكارم إلا ابن أخته الخليفة. فترتيب النظم في البيت مختل، لأن أصل الكلام: وما مثله (يعني الممدوح) في الناس حي يقاربه إلاّ مملّكا (يعني هشام بن عبد الملك ابن أخت الممدوح) أبو أمه أبوه .فالضمير في "أمه" للملك وفي " ابوه "للممدوح.

ب- التعقيد المعنوي: أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة إلى المعنى الثاني المقصود، بحيث يكون إدراك المعنى الثاني من الأول بعيدا عن الفهم، يحتاج إلى تكلف.

.وقد زاد بعض علماء البلاغة عيبين آخرين على العيوب الثلاثة المخلة بفصاحة الكلام وهما: أن يكثر فيه التكرار، وتتوالى فيه الإضافات أو تتابع الصفات، ولكن الملاحظ أن هذين النوعين ليسا عيبا مخلا بالفصاحة دائما، فقد لا يؤديان إلى الثقل، ولا يخلانٌ ل بالفصاحة ، بل يكسبان الكلام حسنا وجمالا. وقد ورد كل من التكرار والتتابع في القرآن الكريم وكان فيهما خفة وسهولة وطلاوة

أما فصاحة المتكلم فهي ملكة أو صفة قائمة في نفس المتكلم، يستطيع بها أنّ يعبّر تعبيرا صحيحا عَّما يجول في خاطره من الأغراض. وهذه الملكة تتكون بكثرة الاطلاع وطول الممارسة، والثقافة الواسعة .

. ثانيا: البلاغة لغة واصطلاحا: وبلاغاً البلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء، يقال بلغ الشيء يبلغ بلوغاَ : وصلَ وانتهى. وتبلّغ بالشيء: وصل إلى مراده.

وقديما اختلف أهل العلم في مفهومها ووصفها بيانيا، وقد أورد ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة ، طائفة من أقوال البلغاء في تحديد مفهوم البلاغة، كما تصورها من وردت هذه الأقوال على ألسنتهم «. سئل بعض البلغاء: ما البلاغة؟ فقال: قليل يفهم وكثير لا يسأم .وسئل آخر فقال: معان كثيرة في ألفاظ قليلة. وقيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فقال: إصابة المعنى، وحسن الإيجاز وقال المفضل الضبي : قلت لأعرابي: ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غيير خَطل .من هنا يلاحظ أن البلاغة في الاصطلاح يختلف معناها باختلاف موصوفها، وهو الكلام والمتكلم، يقال: هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ، ولا توصف بها الكلمة فلا يقال: هذه كلمة بليغة

.ما يوصف بالبلاغة 1- :

بلاغة الكلام: البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها. والحال (المقام): هو الأمر الذي يحمل المتكلم على أن يورد كلامه في صورة خاصة؛ فالمدح مثلا حال يدعو لإيرادها على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكل من المدح والذكاء حال ومقام، وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى، ومقتضى الحال: هو تلك الصورة الخاصة التي ورد عليها كلام المتكلم وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى. فالبلاغة لا بد فيها من ذوٍ ق وذكاءٍ بحيث يدرك المتكلم متى يتكلم ومتى ينتهي، وما القوالب التي تصب فيها المعاني التي رتبها في نفسه.

2بلاغة المتكلم: هي ملكة أو صفة قائمة في نفسه، راسخة فيه، يستطيع به أن ،ُ يؤلف كلاما بليغا في أي غرض يريده ويلاحظ أن البليغ يحتاج إلى :

أ- الطبع والموهبة، والذهن الثاقب، والخيال الخصب، وهذه صفات خلقية.

ب- الثقافة اللغوية والنحوية ومعرفة أحوال النفوس البشرية وطبائعها،والإلمام بما يحيط به من البيئة الطبيعية والاجتماعية، وهذه صفات مكتسبة

وعليه فإن البلاغة فن قولي يعتمد على الموهبة وصفاء الاستعداد ودقّة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين شتى الأساليب، ولابد لطالب البلاغة من أمرين: قراءةٌ عميقة متصلة لروائع الأدب وحفظ ما يستجيده منه، ومران على التعبير من وقت لآخر عن بعض ما يجول في الخاطر، وتجيش به النفس . ولا شك أن تضافر هذين الأمرين معا يعينان على تكوين الذوق الأدبي ونقد الأعمال الأدبية والحكم عليها . 2

نشأة علوم البلاغة

أولا: علم المعاني: هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال؛ ليكون وفق الغرض الذي سيق له، فبه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد،فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب، والفصل والوصل إلى غير ذلك من مباحث هذا العلم. فمتى وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه، لم يزغ عن أساليب العرب ونهج تراكيبهم وجاء كلامه مطابقا لمقتضى الحال. وعلم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع، وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز، وكتب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك ففيها تتجاور مسائل علوم البلاغة، ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينها .ن بها منحى التخصص والاستقلال، ْ َو وشيئا فشيئا أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينح ...وظل الأمر كذلك حتى جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري)ت 471هـ) ووضع نظرية علم المعاني في كتابه "دلائل الإعجاز" ونظرية علم البيان في كتابه "أسرار البلاغة"، كما وضع ابن المعتز من قبله أساس علم البديع. والعجيب أنه لم يحدث بعده تغيير يذكر في هذين العلمين، لأنه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله كل القواعد البلاغية فيهما 2

. ثانيا: علم البيان: جاء في لسان العرب «: ن به الشيء من الدلالة وغيرها، ّ ىُ ما بُ البيان بياناُ ان الشيء َّ وب : اتضح فهو بِّين... والبيان: فصيح، والبيان ّ ّن ، وكلام بى ُ َن الفصاحة والل : ّس الإفصاح مع ذك من الرجال ّ ، والبين اء : من ٍ ُ الفصيح، الظريف، العال الكلام، وفلان أبى فلان: أي أفصح منه وأوضح كلاما... والبيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهمِ ن، و َ ُ ُ وذكاء القلب مع اللس أصل هـ الكشف والظهور . 1 «فالبيان في معناه اللغوي لا يخرج

عن الكشف والإيضاح، وعلو الكلام ظهار ٍ البيان عند البلاغيين: كانت فنون البلاغة جميعا تسمى بيانا عند البلاغيين، وذلكُ لتعريفهم البيانبأنه المنطق الفصيح المعبر عما في الضمير، وهذا ينطبق على علوم لتعريفهم البيان البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع .وكانت نشأة علوم البلاغة العربية غير مميزة عن بعضها البعض، حتى بدأت الملاحظات البلاغية تأخذ طريقها في مصنفات العلماء ، فقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست أن واصل بن عطاء، والكسائي، والأخفش ، ويونس بن حبيب، وقطرب النحوي، والفراء، وأبا عبيدة، والمبرد، وابن الأنباري، والزجاج، وخلف، ألفوا في معاني القرآن، وهم من اللغويين *، وممن أسهم من علماء الكلام: ، ومن النقادّ الجاحظ والرماني: الآمدي، والقاضي عبد العزيز الجرجانيٍ ن كان كتاب العسكري أكثر دخولا في عبد العزيز الجرجاني، وأبو هلال العسكري، وإن كان كتاب العسكري أكثر دخولا في التخصص. فالجاحظ (ت 255هـ) ألف كتابا سماه " البيان والتبيين"، وقد خطا الجاحظ خطوة طيبة في ملاحظاته البلاغية، التي جمع فيها معظم ما انتهى إلى عصره منها، فتكلم

عن التشبيه، والاستعارة، والكناية، والحقيقة والمجاز، لكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، واكتفى بتوضيحها عن طريق الأمثلة، وقد عده البعض مؤسس البلاغة العربية .ويأتي " البيان" لدى الجاحظ بمعنى "البلاغة" مرة، و"البرهان" أخرى، كما يرد بمعنى "روعة التعبير ." ويعتبر كتاب أبي هلال العسكري (ت 395 هـ) "الصناعتين" من أبرز الكتب التي تناولت المباحث البلاغية الشائعة آنذاك، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :البلاغة والفصاحة، وتمييز الكلام جيده ورديئه، ... والتشبيه والأسجاع. وقد عالج موضوعات علم البيان من تشبيه، واستعارة، ومجاز، وكناية . 1وبقي الأمر مختلطا بين البلاغة والبيان حتى بدايات القرن الخامس الهجري، حيث أفاد عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) من جهود سابقيه، فصنف

كتابيه : " أسرار البلاغة"، و" دلائل الإعجاز"، واعتبر بهما واضع أسس علم البلاغة العربية، فنظّم علمي البيان قهما على آيات القرآن الكريم، مما يدل على سلامة ذوقه وعظيم إبداعهّ والمعاني وطب وكل ما سلف من د ارسات كانت تكتفي بالجوانب النظرية، ولم ترق إلى المستوى التطبيقي، إلا ما كانت تورد من أمثلة غير مفصلة في كثير من الأحايين، حتى كتب الزمخشري (ت 538 هـ) كتابه " الكشاف" في تفسير القرآن الكريم، وقدم فيه تطبيقا ارئعا لما سبق وذكره الجرجاني في كتابيه، فقد أورد تفصيلا وأمثلة للتشبيه، والاستعارة ، والكناية، والمجاز، وأضفى عليها من ذوقه الأدبي وعلمه الشاسع 2

. ثالثا: علم البديع:

وهوفي اصطلاح علماء البلاغة «: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة" على المعنى المراد

.نبذة في تاريخه: لعل أول محاولة علمية جادة في ميدان علم البديع هي تلك المحاولة الخلافة التي قام بها خليفة عباسي. ثم مات مقتولا، وقيل مخنوقا سنة296هـ، هذا الخليفة هو أبو العباس عبد االله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، والمولود سنة 247 هجرية. لقد كان شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر، سهل اللفظ، حسن الإبداع للمعاني، مغرما بالبديع في شعره، وبالإضافة إلى ذلك كان أديبا بليغا مخالطا للعلماء، والأدباء وله بضعة عشر مؤلفا في فنون شتى وصل إلينا منها: ديوانه، وطبقات الشعراء، وكتاب البديع

. وإذا كان "عبد القاهر الجرجاني" المتوفى سنة 471 للهجرة صاحب كتابي ": دلائل الإعجاز "، و "أسرار البلاغة" هو واضع نظرية علم البيان وعلم المعاني ،

فإن "عبد االله ابن المعتز" هو واضع علم البديع، كما يفهم ذلك من كتابه المسمى " كتاب البديع" الذي ألفه سنة 274 للهجرة .

إلا أن ابن المعتز أغفل كثيرا من أبواب البديع المعروفة اليوم، ولم يأت إلا بسبعة عشر لونا من ألوانه، وكان يعاصره حينذاك "قدامة ابن جعفر"، فجمع منها عشرين نوعا، ثم جاء من بعدهما "أبو هلال العسكري"، فجمع من الأنواع البديعية سبعة وثلاثين.

والحقيقة أن علم البديع مر –منذ أن اكتشفه ابن المعتز وحتى اليوم – بمراحل عديدة فكان ككرة الثلج، كلما دارت بها الأيام كلما ازدادت ضخامة شأن أي علم مستحدث، فقد تهافت الأدباء والعلماء على دراسته وتوسيعه، وتبويبه، واختاروا لألوانه الأسماء الموحية .

هذا وليس في كتاب ابن المعتز ذكر لباحث قبله في قضايا البديع سوى الأصمعي الذي قال إن له بحثا في الجناس، وسوى الجاحظ الذي قال إنه أول من سمى "المذهب الكلامي "باسمه

ومن النقاد الذين تلقفوا محاولة ابن المعتز العلمية في علم البديع وأضافوا إليها معاصره قدامة بن جعفر في كتابه " نقد الشعر". وقدامة هذا كان نصرانيا ثم اعتنق الإسلام في أواخر القرن الثالث الهجري، وتوفي سنة 337 للهجري في أيام الخليفة العباسي "المطيع الله . "وقدامة بن جعفر أشهر النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي في اللغة العربية، ودفعوا بها إلى الأمام دفعات قوية، ووجهوا النقد والنقاد وجهة جديدة استمر صداها على طول العصور، وكتابه "نقد الشعر" صار أصلا لجميع الدراسات النقدية العربية . ثم ظهر في القرن الرابع محمد قدامة وعاش بعده أكثر من نصف قرن عالم آخر هو أبو هلال العسكري، الذي حاول في كتابه

"الصناعتين" أن يحقق هدفين : احدهما أن يتم في توسع ما بدأه قدامة من بحث صناعة الشعر ونقده، أما ثاني الهدفين، فهو ألا يقف بالبحث الأدبي عند حد الشعر وإنما يتعداه إلى بحث صناعة الكتابة أو النثر، فليس الأدب شعرا وإنما هو شعر ونثر معا.

أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة:

الواقع أن البلاغة العربية قد مرت بتاريخ طويل من التطور حتى انتهت إلى ما انتهت إليه، وكانت مباحث علومها مختلط بعضها ببعض منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين الأولين من علماء العربية، وكانوا يطلقون عليها "البيان". وقد أخذت الملاحظات تنشا عند العرب منذ العصر الجاهلي، ثم مضت هذه الملاحظات تنمو بعد ظهور الإسلام لأسباب شتى، منها تحضر العرب، واستقرارهم في المدن، ونهضتهم العقلية، ثم الجدل الشديد الذي قام بين الفرق الدينية المختلفة في شؤون العقيدة والسياسة. فكان طبيعيا لذلك كله أن تكثر الملاحظات البيانية والنقدية

. وإ ذا انتقلنا إلى العصر العباسي فإننا نجد بالإضافة إلى نمو الملاحظات البلاغية و محاولات أولية لتدوين هذه الملاحظات وتسجيلها ، كما هو الشأن في كتب الجاحظ، وبخاصة كتاب "البيان والتبيين" وقد أدى إلى هذه النقلة الجديدة عوامل منها تطور الشعر والنثر بتأثير الحضارة العباسية، ورقي الحياة العقلية فيها، ومنها ظهور طائفتين من العلماء المعلمين عنيتا بشؤون اللغة والبيان، إحداهما طائفة محافظة هي طائفة اللغويين، وهؤلاء كانوا يعلمون رواية الأدب وأصوله اللغوية والنحوية، وكان اهتمامهم بالشعر الجاهلي والإسلامي أكثر من اهتمامهم بالشعر العباسي، وقد هداهم البحث في أساليب الشعر القديم من ناحيتيها اللغوية والنحوية إلى استنباط بعض الخصائص الأسلوبية على نحو ما نجد في كتاب سيبويه من مثل كلامه عن التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، ونحو ذلك . كذلك نلتقي

بكتاب "معاني القرآن" للفراء (ت 207 هـ)، والذي يعنى فيه بالتأويل وتصوير خصائص بعض التراكيب، والإشارة إلى ما في آي الذكر الحكيم من الصور البيانية. ثم نلتقي بكتاب" مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 211 هـ) الذي كان

معاصرا للفراء، وهذا الكتاب لا يبحث في مجاز القرآن إنما هو بحث من الجانب البلاغي، وانما هو بحث في تأويل بعض الآيات القرآنية، وأبو عبيدة هذا هو أول من تكلم بلفظ المجاز، كما ذكر ابن تيمية في كتابه " الإيمان"، ولكنه لم يتكلم عن المجاز الذي هو قسيم الحقيقة 1نما المجاز ِ ، وا عنده يعني بيان المعنى .*ومع هذا فقد وردت في كتابه "مجاز القرآن" إشارت إلى بعض الأساليب البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية، وبعض خصائص التعبير النحوية التي لها دلالات معنوية من مثل الذكر والحذف والالتفات والتقديم والتأخير .أما طائفة العلماء المعلمين الأخرى التي ظهرت في العصر العباسي فهي طائفة علماء الكلام وفي طليعتهم المعتزلة الذين كانوا يدربون تلاميذهم في فنون الخطابة والجدل والبحث والمناظرة في الموضوعات المتصلة بفكرهم الاعتزالي. وكان هذا التدريب يعمق ويمتد حتى يشمل الكلام وصناعته وقيمته البلاغية والجمالية

. وقد حفظ لنا كتاب" البيان والتبيين" للجاحظ قدرا كبيرا من ملاحظات المعتزلة المتصلة بالبلاغة العربية، ونجد الجاحظ المعتزلي يورد في كتابه "البيان والتبيين" تعاريف اليونان والفرس والهند للبلاغة وهذا يعني أن المعتزلة اخذوا يضيفون إلى ملاحظات العرب الخاصة في البلاغة ملاحظات الأمم الأجنبية وخاصة اليونان، ومضوا من خلال ذلك ينفذون إلى وضع المقدمات الأولى لقواعد البلاغة العربية. وأول معتزلي خطا خطوة ملحوظة في هذا السبيل هو رئيس المعتزلة ببغداد بشر بن المعتمر (ت210 هـ)، فعنه نقل الجاحظ صفحات نثر فيها بشر ملاحظات دقيقة في البلاغة، تلقفها من جاء بعده من العلماء، واستعانوا بها على بلورة بعض أصول

البلاغة وقواعدها. ولعل اكبر معتزلي جاء بعد بشر بن المعتمر وأولى البلاغة العربية عناية فائقة هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ). فقد ألف في البلاغة كتابه "البيان والتبيين" في أربعة مجلدات ضخام، وقد خطا الجاحظ خطوة غير مسبوقة في ملاحظاته البلاغية، وذلك بالكلام عن التشبيه والاستعارة عن طريق النماذج، مع التفريق بينهما، كما استعمل "المثل" مرادفا للمجاز، وجعله مقابلا للحقيقة، ... . وبهذا كان أول من فطن إلى تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز.

ومجمل القول في الجاحظ من جهة البلاغة أنه في كتبهّ ألمّ بالأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وحقيقة ومجاز، ولكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، وانّما جاء تعريفه لها والدلالة عليها عن طريق الأمثلة والنماذج لا عن طريق القواعد البلاغية.